تبادل حروف العطف في الآيات المتشابهات

الأستاذ الدكتور
عائد كريم علوان الحريزي
الباحثة
إيمان مسلم
جامعة الكوفة - كلية الآداب

تتشابه الآيات القرآنية وتختلف باختلاف سياقاتها النصية وبحسب ما يقتضيه الأسلوب القرآني في التعبير وهذا التشابهه هو حقيقة إعجازية يقرها القرآن في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ .....﴾ الزمر / ٢٣

ومضمون الآية الكريمة يوحي بعظمة هذا التشابه الأسلوبي من ذلك ما سيأتيلاحقا في ظاهرة التبادل في حروفالعطف إذ ليس للحرف إلا ما يأت فيه من موضع ولأهمية الحرف الدلالية في هذا التبادل لابدمن التعرف على معنى لحرف في اللغة والإصطلاح .

الحرف في اللغة والإصطلاح :

الحرف في الاصل هو الطرف والجانب، وشفيره وحده من اعلاه المحدد، ومن ذلك حرف السيف انما هو حدّه وبه سمّي الحرف من حروف الهجاء[١]

أمّا في الأصطلاح فهو القسم الثالث من أقسام الكلم العربي بعد الأسم والفعل ويأتي في التركيب ((لمعنى ليس باسمٍ ولا فعلٍ . . . نحو: سوف، و واو القسم و لام الإضافة ونحوها))[٢] لذلك هولايؤلف في تركيب الجملة معنى مستقلاً بنفسه عند الجمهور وإنما معناه متأت من العنصر اللغوي الذي يضاف

أي:((النص)) ويقوم كذلك بشد أطراف عناصر الجملة . وهو ((ما دل على معنىً في غيره وخلا من دليل الاسم والفعل مثل:هل، و بل، و من، و إلى، و ما أشبه ذلك))[٣]. والحروف هي ((أطراف الكلمات الرابطة بعضها ببعض))[٤]. و ((أداة لتفرقة المعاني))[٥]

خلاصة التعريف أن الحرف هو الطرفُ في التركيب لكنَّهُ الرابط بين أجزائه و المفرق بين ألوان المعاني وفي هذا الكلام تقاطع واضح إذ كيف يكون طرفا، وفي التركيب مفرقا بين ألوان المعاني؟ ففي أصل وضع المصطلح عند قراءتنا الجديدة لأول حدّ للحرف في شكله الاصطلاحي نجد أقدم تعريف للحرف صدر عن صحيفة أسمها (التعليقة) لابي الاسود الدؤلي ومضمونها: الكلام كله أسم وفعلٌ وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمّى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل))[٦]. نلحظ من هذا الحدّ أنه استبعد الاسميَّة والفعلية عن حدّالحرف وترك دلالته مفتوحةً على جوانب المعنى، فلمحَ بعض النحاة ذلك في الحرف إذ جعلَهُ أداةً لتفرقة المعاني[٧]، وأن وظيفتَهُ ((التعبير عن أنواع العلاقات والروابط التي تقوم بين تلك المعاني))[٨] فهي الحدُّ والمحدَّدُ والشفير وحدُّ السيف لغة وللربط وللتفرقة بين المعاني وللتكامل مع غيرها من أجزاء التركيب اصطلاحاً وأن مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفها مبنية في جزء منها على معاني حروفه[٩]. نخلص من كل هذا إلى: أن الحرف هو الجزء اللّفظي مطلق الدلالة الذي يؤثره ويتأثر بغيره من أجزاء التركيب وهو أداة لتنظيم العلاقات الداخلية للتراكيب وربطها ببعضها لا يخرج عن كونه جزء من دلالات السياق ((فلا بيئة للأدوات خارج السياق))[١٠]، وبذلك تكون الحروف قد استوفت دلالتها من أصلها في اللغة فهي أداة لتحديد الدلالة وتوضيح القصد في التركيب الذي يتبع تنوع السياق و((يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الدالّة إليه والمسوّغة له))[١١]. نلمس هذه الحقيقة في تعدد معاني الحرف بتعدد السياق

والقصد في قول عبد القاهرالجرجاني (ت٤٧١هـ): وهو يعرض للإحاطة بمعاني (إن) المؤكدة ((أنه لايكاد ينتهي ما يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق))[١٢]. يرجع هذا التنوع في دلالة الحرف التابعة للسياق والقصد إلى انفتاح دلالة الحرف على أفق المعنى وهذا ما أدّى إلى الخلاف بين النحاة فيما يتعلقُ بالحروف من موضوعات . والذي يعنينا في هذا البحث هو تغاير الاستعمال في الحروف فيما بين الآيات المتشابهات وما وراءه من أسرار

دلالية ستظهر في هذا العرض :

١-:التبادل بين الفاء والواو : إن للفاء والواو دلالات تستمد ألوانها من السياق الخاص بها فمنها ما للفاء من دلالة على الترتيب أو التعقيب أو السببية أو تأتي رابطة وذلك بحسب سياق الكلام[١٣]. أمّا الواو فهي أم الباب في العطف و ((ومذهب النحويين يبين أنها للجمع المطلق)) [١٤]. وتنفرد بكون متبوعها في الحكم محتملاً للمعيَّة برجحان وللتأخر بكثرة وللتقدم بقلة[١٥]. وتأتي (ثم) للعطف أيضاً ولمعنى أوسع في الزمن يدُعى (التراخي) [١٦]. وإن للعطف حروفاً أخرى قد تدل على معان غير العطف لذلك اخترت منها هذه الثلاثة لكثرة التبادل فيما بينها في القرآن وهي أكثر استعمالا من غيرها في العطف. من ذلك التبادل بين الواو والفاء جاءت الآية: {وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ } البقرة / ٣٥ وجاء حرف العطف الواو في قوله (وكلا) بينما جاءت الفاء بدلا من الواوفي الآية {وَيَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} الأعراف / ١٩ وجه أصحاب الكتب هذا التبادل وأولهم الإسكافي (ت ٤٢٠هـ) فقد رأى أنّ الأصل في ذلك هو كل فعل عُطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالإبتداء وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء فالأصل فيه عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو ولّما

لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجواب بالابتداء وجب العطف بالواو دون الفاء[١٧]. أما آية الأعراف التي جاءت بالفاء فقد وجد الإسكافي في توجيه الفاء عطف على فعل (اسكن) لأنه أراد بذلك الأمر أن يلزم آدم المكان، أو أراد منه الدخول ابتداءاً، مستندا في ذلك الى أمر الله تعالى بطرد إبليس فكان هذا الدخول مقابل ذلك الخروج ولم تحمل الواو ذلك المعنى لأنّ الأكل لم يكن متعلقاً بذلك الدخول ووافقه الكرماني (ت ٥٠٥هـ) في معنى العطف في الحرفين الإ أنه وجد الفاء قد جاءت للتعقيب إذ الأكل وقع عقب اتخاذ المسكن أمّا في البقرة فجاءت الواو لأن السكن الذي معناه الإقامة ممتد في الزمن فلا يصل إلاّ بالواو ولو عطف بالفاء لاستوجب تأخير الأكل الى الفراغ من الإقامة[١٨]. ورأى غير ذلك ابن الزبير (٧٠٨) فسياق آية البقرة كان لمجرد أخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بما جرى في قضية آدم عليه السلام وابتداء خلقه من غيرتحديد زماني أو تحديد غاية مناسبة ذلك الواو وسياق الآية في سورة الأعراف تعداد النعم وناسب القصد العطف بالفاء المقتضبة الترتيب: وليس موضع شرط ولا جزاء[١٩]. ووافق الشافعي (ت ٧٣٣هـ) الإسكافي والكرماني ، فوجه الواو لزيادة الإكرام في السكن والأكل لذلك قال فيه (رغدا) وقال (حيث شئتما) لأنهّ أعم[٢٠].ردّ ابن الزبير توجيه الإسكافي بشكل قاطع ولم يقصد الإسكافي الشرط بمعنى الشرط وإنما قصد معنى الشرط في الفاء ومن جانب آخر عرض أبو حيان (ت٧٥٤هـ) إلى مسألة العطف على الضمير المستتر بعد توكيده بالضمير المنفصل ووجه العطف على مذهب البصريين خلافاً للكوفيين الذين أجازوا العطف بلا توكيده بالمنفصل وجعله من عطف المفردات فكان عنده اسكن وزوجك معطوف على الضمير المستتر في (اسكن) [٢١]، و لم يرجحّ أبو حيان رأي البصريين أو الكوفيين هنا وكان له موقف في جواز العطف على المجرور بغير إعادة الجار إذ رجح رأي

الكوفيين في المسألة مستندا إلى واقع الإستعمال وورود ذلك في النثر والنظم من كلام العرب فعرض إلى تفسير الآية ((وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)) النساء / ١ وأستشهد بالآية ((وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ))البقرة / ٢١٧ مؤكداً قوله: ((ولسنا متعبدين باتباع جمهور البصريين بل نتبع الدليل))[٢٢] ورأى السيوطي(ت ٩١١هـ) أن السكن في البقرة للإقامة والواو زيادة في الإكرام إذ دلت على الجمع بين السكن والأكل بدلالة قوله (رغدا) القومنسوب الى الله تعالى نفسه وقال (حيث شئتما) وهذا أعم وفي الأعراف دلت الفاء في العطف على ترتب الأكل بعد السكن وأن (من حيث) لا تعطي عموم (حيث) [٢٣].

ولحظ الآلوسي وظيفة النداء بأنه لتنبيه آدم وتحريكه لأهمية الأمر[٢٤]. وقال الدكتور فاضل السامرائي برأي السيوطي فرأى أنّ ((الاكل في الأولى بعد الدخول وفي الثانية مع السكن ولم يحدد لهم الوقت ... جو البقرة هوجو تكريم لآدم وذريته وبني اسرائيل في حين كان في الاعراف جو عقوبات وتأنيب)) [٢٥] خلاصة الآراء هي أن سياق البقرة آنصب على عرض مشهد الرفاهية لحياة آدم وحواء في الجنة وإظهار التكريم فوظف الواوبضعفها ولينها لذلك اختصروصف ما حدث من إبليس وهو في صدد تركيز المشهد ومجاوزة ما ليس منه فوصل السياق بالواو مسبقا في قوله: (وأعلم ، وماكنتم ، وإذقلنا، واستكبر، وكان، وقلنا، وكلا)وكأن هذا الوصل المتكرربالواو كان مظهرا من مظاهر هدوء السياق لإظهار جمالياته ، و بذلك استدعى توظيف الواو أمران، الأول: دلالة السياق والثاني: النظم المتعلق بالوصل من جانب وبوحدة هذا الوصل اذ كانت الواومن جانب آخر مما لم يجتمع لآية الأعراف، فالجوغاضب والفاء للقوة في دلالتها على المعنى جيء بها في سياق ركز الوصف على تصعيد الحدث في طرد إبليس،

فـاختفى الوصـل في ذلـك وظهـرت عبـارات الغضـب مقطوعـة عـن بعضهاوهي: (أخرج ، مذؤما، مدحورا، لمن تبعك لأملأن)، جاءت هذه العبارات بلا وصل اختيرت للتعبيرعن الغضب ومقابل طرد إبليس جاء دخول آدم فانتضمت الفاء في سياق التعبير عن أمرقاطع قضى بطرد عدو زاد من إذلاله تكريم عدوه. بعد ان ظهرت خصائص الواو في سياق الوصل وخصائص الفاء في ما جاءت له من تعبير في الآيتين المتشابهتين فكانت هذه دلالة خاصة اضافة الى دلاليتهم في العطف عموماً ، وجاء في تبادل آخر بين:

٢- بين الفاء والواو:

جاء في قوله تعالى بالفاء الاية: {وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤) فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (التوبة / ٥٥ و الآية الثانية قال بالواو {وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} التوبة/ ٨٥ ردّ الإسكافي دلالة الفاء إلى مجيء الأفعال المضارعة قبلها (ياتون، ينفقون) وما جاء بالواو مسبوق بأفعال ماضية (كفروا، ماتوا) وأن هذه بمضيها وانقطاعها لا تكون شرطاً مُتعقباً بالفاء التي تدل على الجزاء[٢٦]. معنى كلامه، أن الفاء جاءت مع الأفعال المضارعة وهوما فيه معنى الشرط وجاءت الواو مع الأفعال الماضية مما أبعدها عن دلالة الشرط . ووافقه الكرماني [٢٧]، ولم يبتعد عنهما إبن الزبير إذ رأى انّ الفاء كانت لمعنى الجزاء وما هو في معناه وأن الواو مسبوقة على قوله (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ)[٢٨] ووافق الشافعي الكرماني والإسكافي وابن الزبير في رأيهم وأضاف أن الآية الأولى بالفاء هي في قوم أحياء والثانية بالواو في قوم أموات[٢٩].ومن المفسرين من لمح معنى العاقبة في لام (ليعذبهم) و التفت الى تقديم الأموال على الأولاد في الآية[٣٠]. ورأى أبو حيان أنّ للآية أكثر من نزول لتوكيد ما جاءت فيه وتقريره

وأن الآيتين كل واحدة في فريق ووجه الفاء في الآية/ ٥٥ انها جاءت للتعقيب في النهي عن الاعجاب بكثرة الأموال والاولاد بعد قوله (وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ) أي الانفاق منهم محجوب بكثرة الأموال والاولاد فنهاه عن الاعجاب بفاء التعقيب أما الواو فجاءت بدلا من الفاء في الآية التالية ومناسبها أنها جاءت لنهي عُطف على نهي قبله ولا تصلّ [٣١] ولا تقم، ولا تعجبك، فناسب سابقاتها من الواوات وان مجيء (الواو) يشعر بالنهي عن الإعجاب بالأموال وعن الإعجاب بالأولاد كل على انفراد متضمنا النهي عنهما مجتمعين اما سقوطها في الآية التالية فكان نهيا عن الإعجاب بالاموال والأولاد معاً متضمنا النهي عنهما كل على انفراد أما اللّام من (ليعذبهم) فهي مشعرة بالتعليل ومفعول يريد محذوف تقديره: ابتلاؤهم بالأموال والأولاد ليعذبهم والتي بـ(أن) لأن مصب الإرادة هو التعذيب أي انما يريد الله يعذبهم فقد اختلف متعلق الفعل في الاثنين والتفت أبو حبان الى حذف كلمة (الحياة) إشارة الى خسّتها ولا سيما حينما تقدمها (الموت) [٣٢]، وفي التفسير الحديث قال محيي الدين الدرويش:((إنّ الفاء عطف الأولى على قوله (وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ) فحسن العطف بالفاء للتعقيب)) [٣٣].ونفى معنى التعليل في اللام لأن أحكام الله لا تعلل وأن معنى اللام هومعنى (أن) لا غير واورد وتوجيه حذف (الحياة) مطابق لـ لإبي حيان دون أن يشير إلى مصدره. ورأى مجيء الواولانقطاعها عما قبلها وأن سقوط (لا) هي الآية الثانية دليل على عدم التفاوت بين الأمرين في حب المال والولدومجيئها كان للتوكيد[٣٤].

تتعاضد الآراء كلها على معنى واحدا تفسره آية آل عمران في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}آل عمران / ١١٦ ثبت في هذه الآية مايؤول إليه الكافرون من أهل الكتاب وهو الخلود في النار واستنادا لهذا التثبيت جاء النهي عن الإعجاب

بأموالهم وأولادهم في آيتي التوبة مفسراً بآية آل عمران وإن كانت في أهل الكتاب و من كفر منهم وكانت آيتا التوبة في المسلمين المقصرين عن نصرة النبيﷺ فإن العاقبة واحدة للفريقين وزاد الله فريق آيتي التوبة تعذيبهم بتلك الأموال في حياتهم حتى تزهق أرواحهم وهم كافرون أما عن دلالة مجيء الواو فهو لما نسق قبلها بالواو على رأي ابن الزبير أما آية التوبة/٥٥ التي جاءت فيها الفاء ففيها معنى الشرط المتحقق من الإستفهام الخارج إلى الخبر في قوله ((وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤) فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ)) التوبة / ٥٥. يأتي معنى الشرط كما هو ظاهر في نص الآية من حقيقة أنهم جمعوا إلى جانب المال والولد غضب الله فلا تعجب بما عندهم وذلك ما قال به الإسكافي . في الفاء من القوة الدال عليها سياق الغضب لذلك اجتمع لمجيئها سببان الأول هو معنى الشرط والثاني دلالة القوة في السياق . -

٣_ بتن (ثم والواو)

جاء التبادل بين ثم والواو في الاية ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ الأعراف / ١٣٤ والاية ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ طه /٧١ وفي ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الشعراء / ٤٩. تتبادل الواو مع ثم مع تغاير دلالتيهما ف(الواو) أم الباب في العطف[٣٥]، و(ثم) أداة عاطفة وهي محدودة الزمن تدل على التراخي في حين تنفتح الواو على زمنها السابق واللاحق بلا حدود وللواو دلالة على الجمع وعلى التشريك أو عليهما معاً[٣٦]. ، و تدل ثم على الترتيب المتباعد او المتراخي. ورأى الإسكافي السورتين (طه، الشعراء) التي جاءت فيهما (الواو) هما المبنيتان على الإقتصاص الأكثر والواو يكون ما بعدها ملاصقاً لما قبلها كالتعقيب الذي يفاد بـ(الفاء) ويجوز أن يكون متراخيا عنه كالمهلة التي تفاد بـ(ثم) ويجوز أن يقدم

مابعدها على ما قبلها أومجامعاً لها إذ هي للجمع ولا ترتيب فيها وأن (ثم) تختص بأحد المواضع التي يصلح الواو لجمعها وحيث اختصرت وظيفتها جاءت حيث اختصرت الحال[٣٧]. بذلك أدخل الإسكافي دلالة (ثم) ضمن دلالة (الواو) . ووافق ذلك توجيه الكرماني و أضاف أن (ثم) تدل على أن الصلب يقع بعد القطع وإذا دلّ في الأولى صار معلوما في غيرها ولأن موضع الواو تصلح له (ثم) [٣٨].بينما ابتعد ابن الزبير بـ(ثم) عن دلالتها الزمنية في الترتيب او التراخي ووجه دلالتها للتهويل الواقع من فعل السحرة وموقعه من نفوس الحاضرين فوجه (ثم) في التهويل مردود إلى ردة فعل فرعون بالتوعد بالقتل والقطع والصلب[٣٩].وجاوز الشافعي الآيات[٤٠]. ولكن دليل ابن الزبير على ابتعاد (ثم) عن وجهها مردود، نعم ان للقرآن الكريم استعمالاته اللغوية وتوظيفاته الخاصة إلا أن الآية التي استدل بها وهي (وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) طه / ٨٣ ولا تخرج (ثم) عن كونها للمهلة لأن المهندي قد يبدأ بالعمل الصالح فيلاقي القبول لدى الآخرين والراحة النفسية في ما أدى من عمل صالح فيتكرر عمله مرة بعد مرة فتحصل لديه قناعات تتأصل في نفسه تؤدي إلى الهدى او تاتي للدلالة على البعد بين ما قبلها وما بعدها وهذا يسمونه البعد في المراتب والبعد بين منزلة هذا ومنزلة ذاك العمل الصالح ،منزلته اقل من منزلة الهدى[٤١]. وممن اختص تفسيره بالجانب النحوي أبو حيان الأندلسي: فقد أشار إلى نقطة مهمةارتبطت بالحالة النفسية لفرعون وأنه لما خاف ان يكون ايمان السحرة حجة قوية آلقى في الحال نوعين من الشبه أحدها، أن هذا تواطؤ منهم والثاني ان ذلك طلب لملكه[٤٢] وبهذا يكون فرعون مضطرباً خائفاً على ملكه، وفي قوله (من خلاف) ردها إلى وجهين : الأول كما وجهه غيره وهو قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى واليد اليسرى مع الرجل اليمنى والوجه الثاني قال معناه من أجل الخلاف الذي

ظهر منكم[٤٣] . وهذا تعسف على المعنى رده الآلوسي فرأى ان معنى (من خلاف) هو وعيد مفصل بعد إجمال في قوله تعالى (فسوف تعلمون) وهو جار مجرى الحال أي (مختلفة) والقول بأن (من) تعليله متعلقة بالفعل أي لأجل خلافكم بعيد[٤٤]، ويصح توجيه الآلوسي نسبة لما في (ثم) من المهلة اذ أجمل وفصل ذلك الوعيد وقطع بالصلب ويبتعد توجيه أبو حيان بـ(ثم) عن دلالتها إذ إنّ الخلاف الذي وقع منهم لا علاقة له بالمهلة التي تدرّج فيها تفصيل الوعيد.وعن قوله في اضطراب فرعون من موسى عليه السلام فهو في غاية الدقة لأن ذلك الإضطراب انعكس على تعبير فرعون بالواو وبثم، فتغاير الإستعمالين وتوحد السياقين يكشف عن حالات الصعود والهبوط في الإضطراب النفسي الذي حل بفرعون بإزاء السحرة بعدما آمنوا وكأنه لشدة غضبه لا يعرف مايريد فعله بهم فتارة يتوعدهم التقطيع ثم يتركهم ليعود فيصلبهم وذلك ما أفادته (ثم) وتارة أخرى يشتد غضبه فيجمع التفطيع والصلب معا وفورا وذلك عبرت عنه الواو ، وفي استعماله (في) بدل (على) جذوع النخل وهو يتوعدهم مظهر آخر لاضطرابه .

أما المحدثون منهم الدكتور فاضل السامرآئي رد دلالة (ثم) الى معنى المهلة التي أعطاها فرعون للسحرة في آية الأعراف ولم يعطها في آية الشعراء وطه و ذلك لزيادة غضبه[٤٥]، معنى ذلك أن فرعون في الآية التي أعطى فيها المهلة كان أقل غضبا فهل المهلة كانت لاستتابة السحرة وذلك لا ينسجم مع تصعيد الحدث في الآيات جميعا فماذا يجدي العفو بعد أن احتملوا قطع الايدي والأرجل؟ قد تكون مهلة للتعذيب وليست للتوبة ويلمح منها التهويل الذي يقرب توجيه السامرائي من توجيه ابن الزبيروبهذا ينسجم التوجيهان مع التوجيه السابق الذي عبر عن اضطراب فرعون .

٤_ **بين ثم والفاء** : من صور التبادل بين (ثم) و(الفاء) جاءت الآية : {وَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} الكهف / ١٥٧ وجاءت الفاء في (فأعرض) ليعقبها (ثم) في الآية: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ} السجدة / ٣٢. رأى الإسكافي أن الفاء وثم يتأخر مابعدهمافي اللفظ عما قبلهما في المعنى وتدل الفاء على قرب مابعدها مما قبلها وتتراخى المهلة في (ثم) . أما السياق فقد وجه الفاء في ذكر قوم يدعون الى الإيمان ولم يختم أعمالهم بالكفر، مرجوً منهم الإيمان وليس كذلك في (ثم) فقد وصف الكفار بعد موافاتهم القيامة إذ تطاول وعظهم خلال الدنيا ثم ختم بالإعراض(٤٦) جاء قول الإسكافي معكوسا ففي آية السجدة كان القوم مرجوا منهم الإيمان وليس في سورة الكهف بدلالة قوله: (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ السجدة / ٣١ وفي سياقها جاءت ثم التي دلت على التردد ثم الإعراض فهؤلاء مرجو فيهم الإيمان وليس أولئك. ومثل ذلك وجه الكرماني الآيتين (٤٧).

أما ابن الزبير فقد رأى أن الفاء للتعقيب حيث الحجة قائمة عقب سماعهم وتدبرهم، و آية السجدة فيها الخطاب عاما بدلالة قوله تعالى: (بأيات ربه) مما اقترن بما لا يجحد عند الإنسان العاقل إلا أن يعظم إعراضه فعطف ب(ثم) استبعادا للجحود بعد اليقين والتصديق(٤٨).ورد الشافعي دلالة الفاء للترتيب حيث سبقت بالمجادلة ثم أورد الإعراض فكان الترتيب الذي استدعى الفاء وليس كذلك في آية السجدة لأن المخاطبين استمروا على فسقهم فناسب ذلك (ثم) المؤذنة بالتراخي(٤٩). ولم يبتعد الزمخشري عمّا وجه به الإسكافي والكرماني في دلالة ثم والفاء (٥٠) و جمع أبو حيان بين أكثر من آية جاء فيها قوله تعالى : (مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ .....) فكانت كالآتي

١_ ((مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ...)) البقرة / ١١٤

٢_ (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا) الصف / ٧

إلى جانب ماجاء في الكهف والسجدة فنظر إلى معنى الإستفهام الذي دل عليه النفي وهو خبر،خشية أن توخذ الآيات على ظواهرها فيسبق إلى ذهن السامع تناقض يخالف حقيقة توجيهها وهو لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله وكذلك بقية الآيات فتأول ذلك على أن خصّ كل واحد بمعنى صلته فكأنه قال لا حد من المانعين أظلم ... ولا أحد من المفترين أظلم .. فإذا تخصصت بالصلات زال عنها التناقض[٥١]. وهو بهذا يسقط الفرق بين دلالتي الفاء وثم على الزمن وما جاءتا له في السياق فتساوت عنده معاني الأظلمية جميعا لإغضائه عن سياقاتها فهل المعرض الأول في إعراضه وظلمه يساوي المعرض الثاني الذي جاء اعراضه بعد (ثم) في آيتي الكهف والسجدة.؟ وفي التفسير الحديث اعرب الدرويش: الواو استئنافية و (من) اسم استفهام معناه النفي في محل رفع مبتدأ وأظلم خبر فأعرض عطف على ذكرّ في آية الكهف[٥٢]، أما في آية السجدة وجه (ثم) حرف عطف وتراخي وهي خاصة بالاستبعاد والتطاول لأن الإعراض عن الآيات مع غاية وضوحها متسبعد في موازين العقول الراجحة[٥٣]. ورأى الدكتور السامرائي أن الاعراض في آية الكهف هو أسرع منه في آية السجدة فناسب ذلك ذكر الفاء اذ وقع عقب التذكر بدلالة قوله تعالى (ونسي ما قدمت يداه) ... فناسب ذكر الفاء دلالتها على الترتيب بمعنى ان التذكر كان سببا لإعراضهم[٥٤]. وهكذا أجمع الموجهون على أن الفاء للعطف او للترتيب او للسرعة وفيها المعرض أسرع في الإعراض لأن الكفرراسخ في عقله متمكن من قناعاته خلافا لدلالة (ثم) التي تشير إلى أن المعرض تردد ثم أعرض.

٥_ **بين ثم والواو**: وفي تبادل ثم مع الواو جاءت الآية {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} فصلت / ٥٣ والآية (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الأحقاف / ١٠. وجه الإسكافي دلالة (ثم) في آية فصلت الى معنى الإمهال من الله تعالى ليعود القوم الى الإيمان[٥٥]. ووافقة الكرماني في ذلك[٥٦]. وردّ ابن الزبيرذلك إلى دلالة التعظيم في (ثم) وهو متأتٍ من ملحظ البعد بين المنازل أي المراتب[٥٧] كما في آية الأعراف (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ) السابقة الذكر ولكن هذا التعظيم في كفرهم فهي تأتي لبيان ما يعطف بها وان له موقعا وخطرا وبه اعتناءاً، وما في الاحقاف من الواو فهي للتشريك[٥٨]،أماالشافعي فاحتمل أن تكون ثم للاستبعاد من الكفر ووجه الواو الى العطف ودلالة الجمع[٥٩] وفي تفسير الطبري : الآيتان نزلتا في اليهود والنصارى[٦٠]. ونبه الزمخشري الى أنه جواب شرط محذوف تقديره: إذا كان القرآن من عند الله وكفرتم ألستم ظالمين؟ دل على ذلك قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [٦١].ونقل الرازي قول الزمخشري عينه[٦٢]. الذي ردّه أبو حيان بأن جملة الاستفهام لا تكون جوابا للشرط إلا بالفاء فرأي الزمخشري (ألستم ظالمين) بغير الفاء لا يجوز أن يكون جوابا وقدر جواب الشرط بـ(فقد ظلمتم) ودلل على ذلك بمجيء فعل الشرط ماضياً[٦٣]. ووجه الآلوسي دلالة (ثم) للتراخي الرتبي، فرآى ان معنى (أرأيتم)، اخبروني وإن كان أي القرآن و الشقاق البعيد الخلاف البعيد غاية البعد عن الحق المراد (من هو في شقاق، المقصود به (المخاطبون) ووضع الظاهر موضع ضميرهم شرحا لحالهم بالصلة تعليل لمزيد ضلالهم و جملة (من أضل) سادة مسدّ مفعولي (رأيتم) [٦٤]. دلت (ثم) على تباعد الرتبتين رتبه انه من الله ورتبة الكفر به أما الواو لها دلالة خاصة

بنظم السياق هي انكم تجمعون المتناقضات، علمكم بأنّه من الله وكفركم به يدلّ ذلك على اختلال عقولكم.

الملخص

ينقسم النص القرآني إلى محكم ومتشابه ولا يحتاج المحكم الى تأويل لوضوح معناه ودلالته أما المتشابه فينقسم إلى قسمين متشابه ومداره الشكل ومشتبه ومداره المعنى ومما يحتاج إلى التأويل . يهتم هذا البحث بالمتشابه الذي مداره الشكل وهو تشابه في التراكيب اللفظية واختلاف بجزء قليل كالحرف (في) يستعمل بمعنى (على) وغير ذلك من التبادل الذي جاء على وجهه في اللغة وليس تناوبا بين الحروف كما اعتقد القدامى إذ كان ذلك توظيفا استثنائيا للغة في النص القرآني ومظهر من مظاهر الإعجاز الأسلوبي الذي اعتبروه تناوبا . صحح القرآن مسار اعتقادهم إذ استعمل الحرف بمعناه الذي وضع له في اللغة .وكان هذا التبادل صورة من الصور التي اختص بها التعبير القرآني في دقة التوصيل وفي التفريق بين دلالات الحروف التي هي الجزء الأصغر في التركيب الذي امتلك القدرة على إدارة المعنى في تراكيب يظنها القاريء شيئاواحدا هي الآيات المتشابهات التي استبدلت في كل استعمال حرفا يتطلبه السياق ويوظفه حدا فاصلا بين السياقين المتشابهين فيرسم بذلك التوظيف لكل سياق حدوده .

Abstract

The Quranic verse are similar and different according to the textual Contexts and the conditions of the miracle Quranic style .There aremany non –restricted verses in the holy Quran and they contain manyreplacements , the researcher chose some of the coordinationconjunctions to be an example for the research and an image of the coordination conjunctions that is represented by using the coordinationconjunction in the verse such as " waw = and " which had been replaced by another one which is " fe = then "

in the non restricted verse . The research found out the charasteristics , reasons and results of thisreplacement , relating the Quranic purpose to which the investment ofthe context had referred.This replacement came in five images :- such asthe replacement of " fe " and " waw " , the replacement of " waw " and "thuma " and the replacement of "fe "and "thumah " .All these images are
devoted to a special contextual and significance as a result of this conjunction which is the smallest part of the structure , but it had the ability to control and change the meaning of the structure to an extent that it pushed away the meaning of identification .

قائمة المصادر و المراجع

(١) ينظر: لسان العرب مادة (ح ر ف) :١٤/٩ والقاموس المحيط للفيروزي آبادي: ١٠٣٣
وسر الفصاحة لابي عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي- صححه وعلق عليه، عبد المتعال الصعيدي- مكتبة محمد علي صبيح واولاده- مصر :١٥.
(٢) الكتاب : ١٢/١
(٣) التفاحة في النحو لأبي جعفر النحاسي تح_ كوركيس عواد - مطبعة العاني- بغداد : ١٤
(٤) مفردات الفاظ القرآن للراغب الأصفهاني – تحقيق صفوان عدنان داودي- دار القلم – دمشق- دار الشامية- بيروت :٢٨٨ .
(٥) لسان العرب -مادة (ح ر ف) : ١٤/٩.
(٦) نشأة دراسة الحرف وتطورها - د. هادي عطية الهلالي دار الشؤون الثقافية بغداد : ٣٤٠
(٧) ينظر: لسان العرب- مادة (ح ر ف) : ٩/ ١٤.
(٨)المعالم الجديدة للأصول: السيد محمد باقر الصدر- ط٢ -١٩٧٥م- مطبعة النعمان- النجف الاشرف :١١٢
(٩) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني - حسن بن قاسم المرادي _تحقيق: طه محسن - مؤسسة الكتاب للطباعة والنشر- بغداد. : ٨٧

(١٠) أقسام الكلام من حيث الشكل و الوظيفة - د. فاضل الساقي- مكتبة الخانجي- القاهرة : ٢٦.

(١١) الخصائص – ابو الفتح عثمان -بن جني – عالم الكتب – بيروت- ١٩٧٧م، ١٣٩٧هـ: ٢٨٢.

(١٢)دلائل الإعجاز- عبد القاهر الجرجاني - تعليق: محمود محمد شاكر- مطبعة المدني- القاهرة -: ٣٥٣.

(١٣)ينظر: مغني اللبيب : ١/ ١٨٣

(١٤)الجنى الداني : ٤٠٦

(١٥) المصدر نفسه : ١٨٩.

(١٦)ينظر: المصدر نفسه : ٤٠٦..

(١٧)ينظر: درة التنزيل : ٧

(١٨) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني: ٢٦ تحقيق: عبد القادر عطا – دار لكتب العلمية – بيروت.

(١٩) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل – احمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي_ تحقيق: سعيد الفلاح – دار الغرب الاسلامي – بيروت. ١/ ١٨٨

(٢٠) ينظر: كشف المعاني في متشابه المثاني – لبدرالدين محمد بن ابراهيم ابن جماعة الشافعي_ تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل – دار الكتب العلمية – بيروت. : ١٦

(٢١) ينظر: تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي- تح: احمد عبد الموجود واخرون – دار الكتب العلمية- بيروت – ط٢ – ٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ : ٣٠٦/١

(٢٢)ينظر : تفسير البحر المحيط :١٥٦/٢ وينظرالإتقان للسيوط دار ومكتبة الهلال _ لبنان : ١/ ٢٠٠.

(٢٣) ينظر: الاتقان للسيوطي : ٢/ ٣٠٥.

(٢٤) ينظر: روح المعاني وتفسيرالسبع المثاني شهاب الدين محمود الآلوسي_ ادار الطباعة الميرية-القاهرة. : ٢٣٢/١

(٢٥) التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي- شركة العاتك – القاهرة : ٢٨٦

(٢٦) ينظر: درة التنزيل : ١٤٨.
(٢٧) ينظر: البرهان للكرماني : ٨٨.
(٢٨) ينظر: ملاك التاويل : ١/ ٥٩٥.
(٢٩) ينظر: كشف المعاني : ٦٩.
(٣٠) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الفضل بن الحسن والطبرسي- ناصر خسرو- طهران:٦٠/٥.
(٣١) ينظر: تفسير البحر المحيط :٨٤/٥
(٣٢) ينظر: المصدر نفسه : ٥/ ٨٢
(٣٣) اعراب القرآن وبيانه – محيي الدين الدرويش - اليمامه للطباعة والنشر دمشق- بيروت دار ابن كثير دمشق- بيروت: ٣/ ٢٥٥
(٣٤) ينظر: المصدر نفسه : ٣/ ٢٥٦.
(٣٥) ينظر: شرح ابن عقيل على الفية إبن مالك : ٤٢٣/١ وينظر: الاصل والفرع في النحو العربي من سيبويه الى ابن هشام. د. عبد الحسن خضير عبيد- مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي ٢٠٠٩م. : ١٤٠
(٣٦) ينظر: الجن الداني: ٤٠٦.
(٣٧) ينظر: درة التنزيل: ١٣٦.
(٣٨) ينظر: البرهان للكرماني: ٨٢.
(٣٩) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٥٧٥.
(٤٠) ينظر: كشف المعاني: ٦٥.
(٤١) ينظر: مباحث في لغة القران الكريم وبلاغته : ١١٢.
(٤٢) ينظر: تفسير البحر المحيط : ٣٦٥/٤
(٤٣) المصدر نفسه : ٤/ ٣٦٥.
(٤٤) ينظر: روح المعاني : ٩/ ٢٥.
(٤٥) ينظر: التعبير القرآني : ٣٠٧
(٤٦) ينظر: درة التنزيل: ٢٠٥.
(٤٧) ينظر: البرهان للكرماني: ١٢١.
(٤٨) ينظر: ملاك التأويل : ٢/ ٧٨٧.
(٤٩) ينظر: كشف المعاني: ٨٩

(٥٠) ينظر: الكشاف : ٣/ ٥٢٢.

(٥١) ينظر: تفسير البحر المحيط : ٥٢٧/١ وينظر الاتقان : ٢/ ٧٩.

(٥٢) ينظر: اعراب القرآن وبيانه : ٤/ ٥١٣.

(٥٣) ينظر: المصدر نفسه : ٦/ ١٢٥.

(٥٤) ينظر: التعبير القرآني :١٨٣

(٥٥) ينظر: درة التنزيل : ٣٠٣.

(٥٦) ينظر: البرهان للكرماني : ١٧.

(٥٧) ينظر: مباحث في لغة القران الكريم : ١١١

(٥٨) ينظر: ملاك التأويل : ٢/ ١٠٠٩.

(٥٩) ينظر: كشف المعاني : ١٣٥.

(٦٠) ينظر: تفسير الطبري : ٩/٢٥

(٦١) ينظر: الكشاف : ٤/ ٣٠٢.

(٦٢) ينظر: التفسير الكبير- فخر الدين محمد التميمي الرازي- دار الكتب العلمية – بيروت- ٢٠٠٩م : ٢٨/ ٩

(٦٣) ينظر: اعراب القرآن : ٥/ ١٧١

(٦٤) ينظر : روح المعاني للآلوسي : ٢٥/ ٥